باعتبارها أساسا قويا لكل قيمة يمكن الاعتزاز بها ، وعرف أن التجربة النامية الحرة تحتاج إلى إعادة كشف موضوع الاتصال بين الفرد والآخرين ومايعترض هذا الاتصال .

والقارىء المصغى لأدب المازنى يتأمل فى ولعه بمفهوم التغير . وليس من همى هنا أن أبحث عن مصادر هذا المفهوم . حسبى أن أقول إن أدب المازنى جعل همه تجدد الشعور باستمرار ، والبحث عن الصور المتغيرة ، ونوعا من عبادة الحياة . ولكل تجربة طابعها وجاذبيتها . ولا يستطيع المازنى أن يقف دون التجربة لأنه لا يقاوم روح الخلق فى نفسه .

ربما كانت الثقافة التقليدية أكثر احتفالا بمبدأ النظام والثبات ، وربما كانت تقاوم إرادة الحياة . وربما كانت الطبيعة صورة مبادىء مفروضة لاتعترف بالخلق الإنسانى الحر . ولكن المازنى أحد صانعى الثقافة الحديثة ، بفضله ظهر الاهتمام بالروح الإنسانى الحر ، والخلق ، والتجربة الدافقة ، وما يداخلها من روح الدفء والغبطة .

كان المازنى يدرك أن التجربة المبدعة الحرة تصطرع فى داخلها بفكرة الاعتقاد أو الإيمان . ونشأ هذا الميل إلى الاكتفاء بعالم الإنسان المتغير . ولعلى بهذا أعددت القارىء بوجه عام لتقبل إبراهيم الكاتب من حيث هى رسالة ثقافية يحاول فيها البطل المزج بين الاحتراق والإنضاج ، بين التعرض للتجربة وقياسها ، بين البحث عن وحدة والحرص الشديد على التنوع والخلق المستمر للتجارب .

المازنى علم فى طريق النهضة : الحياة عنده ليست تحسينا لمعطيات تأتى الفرد من خارجه ، وليست قالبا معلوما على الفرد أن يصوغ نفسه فى داخله . الحياة أو النهضة ، على العكس من ذلك ، تبدأ بإعلاء كفة التأمل الشخصى ، ولذة المشاهدة ، وإشاعة سرور الفن بالأشياء والأشخاص . وهذا ما فعله المازنى من أجل تحرير أرواحنا التى ظلت سجينة دهرا طويلا فى أبنية السدود والقيود .

المازنى صانع ثقافة . ولذلك دأب على أن يمارس كل شىء بروح الشوق . حقا إن الصياغة الحادة لهموم النزعة الإنسانية لا تلائم تعرج الأعمال الفنية ، ولكن من الممكن أن يقال بوجه عام إن المازنى كان يزكى على الدوام روح المناوشة وحماسة الحياة ، وتقديس التجربة ، وفرحة اللقاء بالآخرين .